أ ـ الاستعداد للقتال:

ـ الصليبيون:

كان عدد المقاتلين الصليبيين في القدس «يزيد على ستين ألفاً» من الخيالة والرجّالة «عدا النساء والصبيان» بحسبما ذكر «أبو شامة» في «كتاب الروضتين»[47]. ويبدو أن عدد سكان المدينة، وبالتالي عدد المقاتلين فيها، قد ازداد بسبب توافد اللاجئين إليها من المدن والقرى الفلسطينية المجاورة، والتي تعرضت للأخطار خلال الحرب الإسلامية الصليبية. ويذكر «رنسيمان» أن معظم هؤلاء اللاجئين لم يكن يتقن فن القتال، وكان الرجال فيهم قلة ضئيلة إذ كان مقابل كل رجل «خمسون امرأة وطفل»، ولم يكن في المدينة سوى «فارسين اثنين» مما حدا بباليان إلى أن «ينصّب فارساً، كل صبي تجاوز السادسة عشر من عمره، وانحدر من أسرة نبيلة»، ثم جنّد كل الذكور الذين بلغوا هذه السن، ووزع الأسلحة على كل «من استطاع أن يحمل السلاح»[48]، ونشر المقاتلين على الأسوار وفي الحصون، ونصب المجانيق، وحفر الخنادق. يقول أبو شامة، في ذلك: «ونصبوا (الصليبيون) على كل نيقٍ منجنيقاً، وحفروا في الخندق حفراً عميقاً، وشادوا في كل جانب ركناً وثيقاً، وفرّقوا على كل برج فريقاً»[49]. إلا أن ابن الأثير يخالف «رنسيمان» في عدد الفرسان الذين كانوا في القدس قبل تجنيد الصبية النبلاء وتنصيبهم فرساناً، فيذكر أنه كان في القدس «من خَلُص» من فرسان الصليبيين «من حطين»، وأن خلقاً كبيراً اجتمعوا في المدينة، من «أهل تلك النواحي، عسقلان وغيرها»، وقد صعد الجميع على الأسوار «بحدّهم وحديدهم» حيث «نصبوا المجانيق» وحصّنوا تلك الأسوار «بما وجدوا إليه سبيلاً»[50].

---

(47) أبو شامة، المصدر السابق، ج 2: 92. وانظر الرقم نفسه في: الأصفهاني، العماد الكاتب، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص 124.

(48) رنسيمان، المرجع السابق، ج 2: 749. وينسب «غروسيه» إلى البطريرك هرقل القول إنه يوجد، في القدس، رجل واحد مقابل خمسين امرأة وطفلاً (Grousset, Op. Cit., p. 811).

(49) أبو شامة، المصدر السابق، ج 2: 93، والنيق: أرفع موضع في الجبل، وهنا: أرفع موقع في السور.

(50) ابن الأثير، المصدر السابق، ج 1: 547، وانظر الأصفهاني، المصدر السابق، ص 119.